

الاعتراب النفسي والاجتماعي في رواية "العازب" لربيعة جلطي: التجليات والانعكاسات.

Psychological and Social Alienation in the Novel of "Al-Aazib" by Rabia Djelti:
Manifestations and Effects.

* زاهية بوجناح

Zahia Boudjenah

مخبر تحليل الخطاب

جامعة مولود معمري تيزي وزو (الجزائر)

University of Mouloud Mammeri Tizi Ouzou (Algeria)

zahia.boudjenah@ummto.dz

تاريخ النشر: 2026/03/02

تاريخ القبول: 2025/10/26

تاريخ الإرسال: 2025/09/15

ملخص البحث

تتناول هذه الدراسة تمثيلات الاعتراب في رواية "العازب" للكاتبة ربيعة جلطي، انطلاقاً من تحليل التجربة النفسية والاجتماعية للشخصيات الروائية، في ظل سياق اجتماعي مضطرب تتأكل فيه القيم ويغيب فيه الإحساس بالانتماء والمعنى. وتهدف الدراسة إلى الوقوف على كيفية تجسيد الرواية لحالة الاعتراب من خلال تتبع مظاهر المعاناة الداخلية والتهب الاجتماعي الذي يطبع حياة الشخصيات. وتنبثق إشكالية البحث من التساؤل الآتي: كيف تتجلى ظاهرة الاعتراب في الرواية؟ وما أبعادها النفسية والاجتماعية؟

وتتوصل الدراسة إلى أن الاعتراب يشكل محوراً دلاليًا مركزيًا في تشكيل التجربة الإنسانية للشخصيات، إذ يعكس هشاشتها وانفصالها عن واقعها، ويكشف في الوقت ذاته عن عمق التحولات القيمة التي تطال العالم الروائي، مما يجعل من ظاهرة الاعتراب مدخلاً أساسيًا لفهم الرؤية الإنسانية التي تنهض عليها الرواية. الكلمات المفتاحية: اغتراب؛ تجلّي؛ عازب؛ تهميش؛ فقدان الانتماء.

Abstract:

This study explores the representations of alienation in the novel The "Al-Aazib" by Rabia Djelti, through an analysis of the psychological and social experiences of the fictional characters, within a turbulent social context marked by the erosion of values

* زاهية بوجناح zahia.boudjenah@ummto.dz

and the absence of a sense of belonging and meaning. The study aims to examine how the novel embodies the condition of alienation by tracing the manifestations of internal suffering and social disorientation that characterize the lives of the characters.

The research problem arises from the following question: How is the phenomenon of alienation manifested in the novel, and what are its psychological and social dimensions?

The study concludes that alienation constitutes a central semantic axis in shaping the human experience of the characters, as it reflects their fragility and detachment from reality, while also revealing the depth of the value transformations affecting the fictional world. Thus, the phenomenon of alienation becomes a key entry point for understanding the human vision upon which the novel is founded.

Keywords: Alienation; Manifestation; Bachelor; Marginalization; Detachment.



المقدمة:

يشكل الاغتراب أحد المحاور الأساسية في الأعمال الأدبية المعاصرة، نظرًا لما ينطوي عليه من أبعاد نفسية واجتماعية، إذ تعبر هذه الظاهرة عن تمزقات الذات الإنسانية في ظلّ التحولات العميقة التي شهدها العالم الحديث... ولقد أولت الرواية المعاصرة اهتمامًا بالغًا بهذه الظاهرة، بوصفها تمثيلًا لحالة الانفصال التي يعيشها الفرد عن ذاته والآخرين والمجتمع. ولم تعد ظاهرة الاغتراب موضوعًا هامشيًا في المتن الروائي، بل أصبحت مكونًا دلاليًا مركزيًا، تتجلى مظاهره من خلال العزلة وفقدان المعنى والتنشؤ.

وتعدّ الكاتبة ربّعة جلطى من أبرز الأصوات في الأدب الجزائري المعاصر، التي أبدعت أناملها في العديد من الأنواع الأدبية، وجمعت في مؤلفاتها الإبداعية بين عمق الرؤية الفكرية وجمال اللغة، بحيث عُرفت بأسلوبها المتميز في النصوص الروائية التي غالبًا ما تأتي مزيجًا بين ما هو واقعي ورمزي، وكسر مختلف الحواجز الزمنية، مما جعلها نصوصًا ذات عمق مضموني جديد ومتميز.

وتتجلى هذه الخصائص بوضوح في رواية "العازب"، التي تمحورت حول قضية إنسانية تخصّ الشخص العازب، حيث تناولت الكاتبة ظاهرة الاغتراب بأشكالها المختلفة، ورسمت صورة لشخصيات تعاني من الوحدة والعزلة وفقدان الانتماء، سواء على المستوى الداخلي (النفسي) أو في علاقتها بالمجتمع المحيط بها. وعليه، تهدف دراستنا إلى تحديد ظاهرة الاغتراب ومناقشتها، ومحاولة قراءة أبعادها ووظيفتها في النص الروائي، وذلك بالإجابة عن الإشكالية الآتية:

✓ ما أشكال الاغتراب التي جسدها النص الروائي؟

✓ كيف عكست الرواية التحديات النفسية والاجتماعية التي تواجه الفرد في المجتمع؟

1. مظهرات الاغتراب في رواية العازب:

يُمثل الاغتراب ظاهرة إنسانية متعدّدة الأبعاد، تتجلى في شعور الفرد بانفصاله عن ذاته أو عن محيطه الاجتماعي والثقافي. وهذه الظاهرة تناولتها مدارس فكرية متعدّدة، وقدمت كلّ منها قراءتها الخاصة لتجليات الاغتراب ومظهراته في الواقع الإنساني، وفقاً لخلفياتها المعرفية والفلسفية، فبينما ربطتها المدرسة الماركسيّة بعلاقات الإنتاج والهيمنة الاقتصادية، نظرت إليها المدرسة الوجودية بوصفها معاناة وجودية يعيشها الفرد في مواجهة العبث واللاجدوى، في حين ركّز علم النفس على أبعادها النفسية والانفعالية.

ورغم اختلاف هذه المقاربات وتنوّع زوايا النظر، فإنّها تلتقي في فكرة مركزية مفادها أنّ الاغتراب يمثل نوعاً من الانفصال عن الذات، أو عن الآخرين، أو عن العالم المحيط.

ومن هذا المنطلق، يُعرّف الاغتراب بأنّه: "انسلاخ عن المجتمع، والعزلة والانعزال عن التلاؤم، والإخفاق في التكيف مع الأوضاع السائدة في المجتمع، واللامبالاة، وعدم الشعور بالانتماء، بل وأيضاً انعدام الشعور بمغزى الحياة"¹. يعني ذلك أنّ افتقاد الفرد لحالة التوافق مع مجتمعه والانخراط فيه يفضي إلى الإحساس بالتهميش والإقصاء، الأمر الذي تتفاقم معه حالة الانفصال الناق، فيتحوّل الإنسان المعاصر إلى كائن مشطور، "منفصلاً انفصلاً حاداً لم يسبق له مثيل، سواء عن الطبيعة، أو المجتمع، أو الدولة، وحتى عن نفسه وأفعاله، ولم يعد قادراً على إقامة الجسور التي تصل بينه وبين هذا الآخر المختلف المظاهر، والمتعدّد الأسماء، وأصبح عاجزاً عن تحقيق ذاته على نحو شرعي أصيل"².

وعليه، فإنّ الاغتراب، في مجمل معانيه، يُحيل إلى حالة سيكولوجيّة: اجتماعية، تنجم عن تأثيرات متشابكة تمارسها البنى المجتمعية والعلائقية على الفرد، أو تنشأ عن الصراعات الداخلية المرتبطة بالبنية النفسية للذات. وبناءً على ذلك، يُفهم الاغتراب على أنّه: "شعور الفرد أنّه غريب عن ذاته، لا يجد نفسه كمرکز لعالمه، وأنّه خارج عن الاتصال بنفسه كما هو خارج عن الاتصال بالآخرين"³. وفي هذا السياق، تعدّدت الآراء وتنوّعت وجهات النظر حول الأسباب التي تولّد الاغتراب لدى الفرد، والتي تتعلّق بالظروف التي نشأ عليها وتمسّ جميع جوانب حياته. ولهذا، يمكن إرجاع الاغتراب الذي يجتاح الإنسان "إلى الضغوطات الداخلية، حيث يوجّه الفرد معظم نشاطه نحو الوصول إلى أعلى درجات الكمال، ليحقّق الذاتية المثالية ويصل بنفسه إلى الصورة التي يتصوّرها"⁴.

وبما أنّ الاغتراب بنية داخلية تتغذى من تصدّعات الخارج، فإنّه يمثل عنصراً مركزياً في تحليل النصوص الروائية التي تُجسّد أزمة الإنسان المعاصر، بوصفه كائناً يريزح تحت وطأة التناقض بين واقعه وتطلّعاته الذاتية. ومن هذا المنظور، يتجلى الاغتراب في المتن الروائي بوصفه مفتاحاً تأويلياً لفهم تمرّقات الشخصية المعاصرة وتمثّلاتها السردية.

ويمكن ملامسة هذه الظاهرة بوضوح في النص الروائي "العازب"، حيث تظهر بأشكال متعدّدة تعبّر عن الانفصال الداخلي والخارجي للشخصيات، وتبرز أزمات الهوية وصراعات الذات في ظلّ واقع اجتماعي مأزوم، يجعل من الانتماء والتكيف مجرّد حلم بعيد المنال.

فما أنواع الاغتراب التي تمحور حولها النص الروائي؟

أ-الاغتراب النفسي:

يُعَدّ الاغتراب النفسي نوعًا من الشعور بالانفصال وعدم الانتماء، وهو من أخطر الأزمات التي تصيب الإنسان وتهتدّد كيانه بتفكيك الروابط الإنسانيّة. إنّه "مفهوم عام وشامل يشير إلى الحالات التي تتعرّض فيها الشخصية للانقطاع أو للضعف والانهيار، بتأثير العمليات الثقافية والاجتماعية التي تتم داخل المجتمع"⁵. فتأثّر الفرد بما يحيط به ينعكس عليه، ممّا يسبّب له عقّدًا نفسيّة تجعله يعيش نوعًا من العزلة، فيتمزّد وينفرد.

ويرجع الاغتراب النفسي لدى الفرد إلى نوعية العلاقات التي تربطه بمجتمعه، والتي تتميز في أغلب الأحيان بالتوتر، وهو ما يفقده توازنه النفسي ويدخله عالم الاغتراب، الذي يؤثّر على تصرفاته وطريقة سير حياته، ويدفعه إلى الانفصال والابتعاد عن الآخرين والتخلّي عن الحياة الاجتماعية.

وهذا ما حدث لـ "زوبر كروفيت"، بطل الرواية، الذي عانى ويلات الاغتراب نظرًا للنقص الداخلي الذي كان يعانيه نتيجة التشوّع الخلقى في جسده، ممّا ولّد لديه شعورًا بالنفور والميل إلى الحياة الخيالية كهروب من واقع مرير لم يستطع احتاله أو بالأحرى لم يتّكّن من تقبّله.

ومن النماذج التي تمثل لذلك في النص الروائي، نذكر: "... أشعر بالضيق. كلما تركوا المكان وعمّ الصمت حولي، يرجع صدى ضحكاتهم السّاخرة مِنّي، تملأ أذني وكياني، تهزّ أعراقي فأشعر بالصّياح والغضب والحزن...

الحق يُقال، طالت معاناتي في وحدتي، واشتدّت أزمتي من هذا الموضوع الغريب الذي ما فتئ يؤرّقني... لم يكن عباس ويحيى ومصطفى ومحمد على علم بما يحدث لي من تأزّم كلّما خلوت إلى نفسي"⁶.

يمثّل هذا المقطع السردى صورة عن الاغتراب النفسي الذي يعيشه زوبر، نتيجة التشوّع الذي يعانيه على مستوى عضوه الذكري، والذي كان بالنسبة إليه قضية شرف. وقد جعله هذا النقص يعاني داخليًا وينهار تحت وطأة سخريّة زملائه والكلام اللاذع الذي يوجّهونه له، ممّا ولّد لديه إحساسًا بالغربة في عالمهم، وعدم الانتماء إليهم بسبب اختلاف جسده وتفصيله التي لا تمت بصلة إلى هيئته إنسان طبيعي كامل.

ويتبيّن في المقطع اقتباس مباشر من خطاب الشخصية، يعكس بدقّة تفكّكها الداخلي وشعورها المتزايد بالغربة النفسية، فالعبارات التي تبدأ بـ "أشعر بالضيق... يرجع صدى ضحكاتهم السّاخرة مِنّي، تملأ أذني وكياني..." تُنمّ عن حالة قلق حاد، وحساسيّة مفرطة تجاه نظرة الآخرين، وخصوصًا زملائه الذين يُشكّلون، بشكل غير مباشر، سلطة رقابية تمارس نوعًا من العنف الرمزي الذي يكرّس شعوره بالدونية.

هذه العبارات تقود القارئ إلى إدراك التوتر القائم بين "الذات" و"الآخر"، حيث تصبح الذات محاصرة بذكرىات التهمّك والسخرية، حتى في لحظات العزلة، ممّا يدلّ على أنّ الألم النفسي لم يعد مجرد استجابة ظرفيّة، بل تحوّل إلى جزء من البنية النفسية للشخصيّة.

كما أنّ قوله: "لم يكن عباس ويحيى ومصطفى ومحمد على علم بما يحدث لي من تأزّم..." يكشف عن بُعد آخر من الأزمة، وهو العجز عن التواصل الحقيقي والبوح الصريح؛ أي انغلاق الذات على معاناتها وعيشها في عزلة وجدائية

خافقة، فالصمت الذي يفرضه زوبر على نفسه لا يُعبر عن قوة أو تحمّ، بل هو نتيجة خوف متأصل من الأحكام الخارجية وفقدان الثقة بالآخر، مما يُكرس القطيعة مع الجماعة ويدفع به نحو شكل من الانفصال الذاتي.

الاغتراب هنا لا يفهم بوصفه مجرد ردّ فعل على الإقصاء الاجتماعي، بل كنجربة نفسية عميقة تنبع من شعور الذات بانعدام القيمة وانكسار الصورة الداخلية للهوية. إنّ إحساس زوبر بالنقص الجسدي يضاعف من أزمته، لأنّه لا يمسّ فرديته بحسب، بل يطعن صورة "الرجولة" في أعماقه، ويضعه في موضع العار الاجتماعي، خاصة في ظلّ بنية ثقافية تولي أهمية كبرى لصورة الجسد المكتمل والمنسجم مع المعايير السائدة. ومن ثمّ، فإنّ انسحاب زوبر من الحياة الاجتماعية، وركونه إلى العزلة، ولجوءه إلى عوالم متخيّلة، جميعها مؤشرات على تفاقم حالته النفسية. إنّ اغتراب مُتعدّد المستويات: اغتراب عن الجسد، واغتراب عن الجماعة، واغتراب عن الواقع ذاته. وهذا تصبح حياة زوبر في ضوء الرواية، مثلاً درامياً لحالة الانشطار الداخلي التي تنشأ عندما يُحرّم الإنسان من شرط القبول الاجتماعي.

كما أشارت الكاتبة أيضاً إلى غربة البطل في محيطه والبيئة التي ينتهي إليها، بقولها:

"آه، عباس! ما أكثر الجثث في المدينة يا صاحبي... كم من الجثث تننّس فوق الأرض لا تحتها! تتحلّل وهي تتحرّك وتمشي فوق الأرض لا تحتها، فتندلع رائحة عفويتها في الآفاق، وهي جالسة على كراسيها أو قائمة فوق أقدامها.

كلّما عاد عباس من جولاته البحرية، يعتدل شيء من توازني المفقود، وأشعر أنّ المدينة تُضحى أدفاً من ذي قبل إنّ جاء في برد الشتاء، وأبرد وأنعش إذا ما حلّ بالصيف... ظلّ عباس حاضراً في وجودي"⁷.

يُجسّد البطل في هذه المقطوعة شعوراً حاداً بالاغتراب النفسي، ذلك الاغتراب الذي لا يعبر عن انفصال الفرد عن المجتمع بحسب، بل يمتدّ ليطلّ عمق الذات ويفكّك تماسكها الداخلي. يظهر البطل وهو يعيش في واقع مثقل بالموت الرمزي، حيث تتحوّل المدينة إلى مقبرة مفتوحة تعجّ بـ "جثث تننّس فوق الأرض"، وهي استعارة كثيفة الدلالة، توجي بانعدام الحياة الحقيقية في أجسادٍ فقدت كلّ شعور، وكلّ طاقة على التفاعل. فالموت هنا ليس بيولوجياً، بل هو حالة من الخمود النفسي، وانطفاء الوعي، وانعدام الأمل. لقد فقد المجتمع كما صورته الساردة نبضه الداخلي، وأصبح أفرادها بمثابة كائنات متحلّلة روحياً، رغم حركتهم الظاهرية.

وفي هذا السياق، يبدو حضور "عباس" وكأنّه استثناء جزئيّ في هذا المحيط المنهك؛ إذ تشير الساردة إلى أنّه كلّما عاد من جولاته البحرية، شعر بانبعاث شيء من التوازن في داخله، وكأنّ وجوده يُعيد إلى الحياة بعض دفئها. هذا التفاعل العاطفي لا ينبع فقط من تعلق ذاتي، بل من إدراك لا واع بأنّ عباس رغم جراحه ما يزال يقاوم السقوط في الهاوية، إنّّه لا يزال يتحرّك، يتنقّل، يسافر، ويبحث عن فسحة تحفظ له شيئاً من ذاته. وهذه الحركة ليست عبثية، بل تتمثّل في بنيتها النفسية فعلاً مضاداً للتحلّل الداخلي، إنّّه يدرك، كما تصفه الساردة أنّه إذا ما توقّف عن الحركة، سيتحوّل إلى جثة تمشي، إلى كائن آخر ينضاف إلى طابور "الأحياء الأموات الذين تعجّ بهم المدينة...". وهذا ما عبّرت عنه الساردة في قولها عن حالة "عباس التيشي":

"... إنّّه يخشى على نفسه، إنّ هو لم يتحرّك أو يفعل شيئاً ما بجسده، أن يتحلّل مثل جثة وهو واقف يتننّس، إنّّه يراوغ الأمل، يحاول أن يهزمه بالحركة، بالحياة... إنّها طريقته كي يهدأ، كي يتصالح مع جرحه الذي لن يئتم أبداً، كي يظلّ كبيراً...

هكذا هو عباس "التيشي" المختلف، ليس عجباً إن اختار التّقل بين الأماكن، والبلدان، والنساء، والأقوام، واتخذ البحر مرهماً لجروحه"⁸.

تُظهر الكاتبة ملامحَ اعترابٍ نفسي عميقٍ يعيشه "عباس التيشي"، من خلال تجسيد العلاقة المعقدة بين الجسد والنفس؛ فالرجل لا يستطيع أن يهدأ أو يستقرّ، إذ إنّ سكونه يعني التفتّخ، وكأنّ جسده سيتحلّل إذا لم يتحرّك. وهذا التصوير يُبرز بشكل دقيق حالة من التوتر الدائم والانفصال بين الدّاخل (النفس) والخارج (الجسد). فعباس لا يتحرّك من أجل الحياة فحسب، بل كي يُراوغ الألم النفسي الذي ينهش داخله، وكأنّ حركته الدائمة هي وسيلة دفاعيّة، أو آلية نفسية لتعطيل الألم وتجنب السقوط في هاوية الانهيار، فبدلاً من الاستسلام، يختار التّرحال، لا بحثاً عن مغامرة، بل هرباً من جرح لا يلتئم، ورفضاً للاعتراف الكامل به. وهذا ما يجعل البحر، في هذا السياق، رمزاً للتهديّة النفسية، وليس مجرد خلفيّة مكانية.

غير أنّ هذه الحركة المستمرة لا تُلغي، بطبيعة الحال، ما يُعانيه عباس من اضطرابات داخلية، بل تعكس محاولة حثيثة للتكيف مع واقع لم يُعد مألوفاً. فعدم قدرته على الانسجام مع المجتمع الجديد، ورفضه التعايش مع منظومة قيم فقدت معناها، جعله يختار العزلة، أو بالأحرى الانسحاب، رغم الحضور الجسدي، وهو انسحاب يتجلّى في تنقله المستمر بين الأماكن والنساء والثقافات، وكأنّه يبحث عن صورة بديلة لذاته الممزقة، أو عن وطنٍ داخليٍّ مفقود.

وعليه، فتجربة "عباس التيشي" ليست مجرد قصّة فردية عن الألم، بل هي مرآة تعكس عمق الانكسار الجماعي الذي خلفته الحقبة السوداء في الذاكرة الجمعية، وقدرة هذا الانكسار على زعزعة الاستقرار النفسي للفرد، ودفعه إلى البحث عن أشكال جديدة للالتقاء خارج حدود الجغرافيا الملوثة بالعنف. فعباس، في جوهره، ليس هارباً، بل مقاوماً بطريقته الخاصة، يُمارس فعل الشفاء من خلال التّرحال، ويُعيد بناء ذاته من خلال الرّفص والبحث، وإن كان ذلك في عوالم مؤقتة وعلاقات غير مكتملة. وبذلك، يتجلّى الاعتراب النفسي بوصفه مركّباً من الشعور باللاجدوى والانفصال عن الذات، وكلّهما عناصر تتفاعل ضمن بنية سردية عميقة، تُشي بوعي الكاتبة بمآلات ما بعد الحرب، وتداعيات العنف السياسي على البنية النفسية للإنسان، لا سيّما حين يكون هذا الإنسان فرداً يبحث عن الحياة في مدينة تموت واقفة. فالاعتراب النفسي، في هذا السياق، ليس مجرد شعور عابر، بل هو "اعتراب عن الذات أيضاً، حيث يرتبط ارتباطاً موجّباً بالاعتراب عن المجتمع، ومنهم من يذهب إلى أنّ الاعتراب غربة عن الذات"⁹، فعدم تكيف عباس مع ظروف المجتمع الجديد من بين الأسباب التي حدّت به إلى الانعزال والبحث عن مواطن السعادة بعيداً عن المحيط الذي يقطّنه.

ب- الاعتراب الاجتماعي:

يتولّد لدى الفرد في العديد من الأحيان إحساسٌ بالتهميش والتفوّر من الجماعة الإنسانية التي ينتمي إليها، بحيث ينتابه شعور بعدم الانتماء والاحتواء؛ إنّه إحساس بالاعتراب الاجتماعي الذي يشير إلى "العجز عن ممارسة النشاط الاجتماعي العادي، وعدم القدرة على التفاعل، والشعور بالهامشية، وعدم الشعور بالتشارك الوجداني الاجتماعي"¹⁰. فالتصادم الذي يحدث بين الفرد ومجتمع الانتماء، لعدم تقبله ما هو سائد فيه من عادات وقوانين، جعله يتمرد عليها. كما يشير الاعتراب عن المجتمع أيضاً إلى "مغايرة معايير، والشعور بالعزلة والهامشية الاجتماعية والمُعزّة للرّفص، والعجز

عن ممارسة السلوك الاجتماعي العادي"¹¹. فالفرد يرى نفسه غريباً عن المجتمع، سواء من ناحية القيم السائدة فيه أم أساليب العيش التي لا تتناسب ووجهات نظره وأهدافه في الحياة، وهو ما تحدّث عنه الساردة في المقطع الآتي:

"أنا العازب. أصبحت أحسّ بثقل العزوبة أكثر بعد أن وجدتني وحيداً إثر فقدان والدي... فبعد رحيلهما تبعاً، ومن شدة فجيعتي، تركت بيتي فترة وانتقلت نهائياً إلى شقة في حي المرجان. لم أعد أستطيع دخول البيت الذي خلفاني فيه وحيداً إلا بعد زمنٍ طويل... كان لا بدّ لي من وقتٍ أندرب فيه على وحدتي القاتلة، وأستسيغ غيابها عن البيت العائلي"¹².

لم تأتِ الحالة النفسية المتأثرة للبطل "الزوير" من العدم، بل كانت نتيجة للأوضاع القاسية التي عاشها وجعلته يدخل في دوامة اللوم والعتاب، لأنه في نظره هو من كان سبباً في وفاة والديه باكراً، فحزنها على حالة ابنها التي جعلته ينفر من المجتمع، ويعاني من السخرية والتهكم من طرف زملائه بسبب التثؤن الحلقى الذي أصبح عائناً في حياته، يكشف عن نية داخلية متصدّعة لنفسية الزوير، حيث يتكامل الشعور بالذنب مع الإحساس بالنقص ليشكلاً دائرة مفرغة من العذاب الداخلي، ويفضيان به إلى عزلة شعورية خافتة.

وترتكز البنية النفسية المعقدة لشخصية الزوير على تجربة مريّة من التمرّ الاجتماعي، إذ لم يكن الرّفص الذي تلقاه نابغاً من مظهره فقط، بل من الإقصاء الذي مارسه المجتمع عليه، خاصة في مرحلة المراهقة، حيث تتشكّل ملامح الهوية النفسية. فكلّ تلك الأسباب اجتمعت وفرضت قوتها على الزوير للانزغال الاجتماعي وإحساسه بالوحدة، حتى ولو كان في وسط جمع من الناس، وهو ما أكّده بقوله: "ها أنا يا أمّي عازبٌ أبدي، وأشعر بالوحدة الحارقة، على الرغم من مواجهتي كلّ يومٍ لأكثر من ثلاثين تلميذاً وتلميذة... ومع ذلك أشعر بالوحدة المتشظية القاتلة"¹³. هذه العبارة تعكس مفارقة نفسية مؤلّمة، حيث تتلاشى الفروقات بين العزلة الفعلية والعزلة الشعورية؛ فحتى في حضرة الآخرين، يبقى الزوير غريباً، كمن يعيش في جزرٍ نفسية معزولة عن المحيط البشري.

ولقد مثّلت الكتابة هنا للانزغال بطريقتين: الأولى هي انزغال الزوير عن المجتمع بسبب جسمه غير الطبيعي، الذي لم يسمح له بإنشاء أسرة خوفاً من عدم تقبّل أهل الفتاة، ولا الفتاة نفسها، لحالته الجسميّة. أمّا الطريقة الثانية فهي انزغاله في حضرة الحضور؛ أي أنّه يتواجد بين الناس ويتفاعل معهم، لكنّه دائماً يشعر بالوحدة والنقص. وهذا الوعي المزدوج بالعزلة يكشف عن تعقيد التجربة الإنسانية لدى الزوير، حيث يُختزل الجسد في كونه عائناً للاندماج الاجتماعي، وتحوّل اللقاءات الاجتماعية إلى مسرح للاغتراب الداخلي، لا للحضور الوجداني.

وتتجلّى هنا إحدى مظاهر العزلة في أعماق صورها، والمتمثلة في انسحاب الفرد "وافصّاله عن تيار الثقافة السائدة في مجتمعه، مما يجعله يشعر بالانفصال عن الآخرين، والإحساس بعدم الانتماء واللامبالاة. بطريقة يشعر فيها الفرد أنّه وحيد منفصل عن نفسه ومجتمعه"¹⁴. فالعزلة التي يمرّ بها الزوير ليست مجرد انسحاب من التفاعل الاجتماعي، بل هي انقطاع ذاتي عن المنظومة الثقافية والاجتماعية التي تضمن للإنسان الإحساس بالهوية والانتماء. وهو ما يجعل شخصيته تتماهى مع الهامش، وتدخل في طورٍ من الانفصال النفسي عن العالم المحيط به، لتؤدّي به إلى حالة من الانكفاء الذاتي والعيش في عوالم متخيّلة، من أجل تغطية النقص والفراغ الداخلي الذي يُعانيه.

ولقد عكست شخصية "الزوير" أبعاداً متشابكة، تُجسّد من خلال معاناتها الفردية أزمة إنسانية شاملة، تتمثّل في فشل المجتمعات في احتواء المختلف، وفي هشاشة العلاقات الاجتماعية التي لا تصمد أمام امتحان الشكل الخارجي أو الإعاقة. وتكمن براعة الكاتبة في قدرتها على تصوير هذه المعاناة بأسلوب سردي عميق، يتغلغل في الدواخل النفسية للشخصية، ويكشف عن جوانب خفية من الألم الإنساني المستتر خلف المظاهر العادية للحياة اليومية.

وهو ما تبيّن في شخص الزوير الذي بحث عن البديل في حياته لإرضاء النفس التي غمرها الحزن، وسكنها الاكتئاب، وتبيّن ذلك في المقطع الآتي:

"أنا لا أريد أن أحمل أتعاب الذاكرة كما حملاني إياها والدي. لا أريد أن تنجب لي مارلين مونرو ولدًا أو بنتًا... اشتربت على نسائي منذ البدء أن يأخذن حذرهنّ من الحمل، ويتدبّرن أمرهنّ. لا أريد أن آتي بالأطفال إلى هذا العالم الذي يسوده الإرهاب والقتل الجماعي والحروب. نعم... لا أحب أن أفسد في ترك ورائي آدميين يتعدّون في هذا العالم الدموي. سأقلق على مصائرهم حينما سأكون، سنتعذب روحي... أريد لي حين تنتهي مدتي على الأرض وأرحل، أن تسافر روحي حرّة وطيقة..."¹⁵.

يتبيّن لنا من خلال المقطوعة عمق الأزمة النفسية التي يعاني منها "الزوير"، إذ تكشف عباراته عن درجة قصوى من اليأس والرفض، لا تجاه ذاته فحسب، بل تجاه العالم بأسره. فـ"الزوير" لا يكتفي بالتعبير عن ألم فردي ناجم عن تشوّه جسدي، بل يُوسّع معاناته لتشمل موقفًا إنسانيًا شديد القسوة من الحياة، تجلّي في رفضه لفكرة الإنجاب، وتبريره لذلك بأنّ العالم بات فضاءً يعجّ بالإرهاب والقتل والحروب، ممّا يجعله غير صالح لاستقبال كائنات بشرية جديدة.

كما يتّضح من خلال قوله: "أنا لا أريد أن أحمل أتعاب الذاكرة، كما حملاني إياها والدي..." مدى إدراكه لثقل المعاناة المتوارثة، ووعيه بحجم الألم النفسي العميق الذي يحمله في داخله، فيتحوّل بذلك إلى كائنٍ مسكونٍ بالقلق والخوف من تكرار دائرة الألم، رافضًا تمامًا لفكرة المشاركة في إنتاج نسلٍ قد يلقي المصير ذاته.

كما يظهر في قوله: "أريد لي حين تنتهي مدتي على الأرض وأرحل، أن تسافر روحي حرّة وطيقة..." تطلّع نحو الخلاص الروحي من كل ما يثقل كاهله من عذابات مادية ونفسية، وهو تعبيرٌ عن أقصى درجات الانفصال عن الواقع، والهروب من مجتمعه نحو عزلةٍ يراها أرحم من الانخراط في علاقات قائمة على رفض المختلف وإقصائه.

واستنادًا إلى هذا، تتجسّد معاناة "الزوير" كإساءة إنسانية متكاملة الأبعاد، حيث لا يُنظر إلى تشوّهه الجسدي بوصفه إعاقةً بيولوجيةً فحسب، بل كعاملٍ كاشفٍ لمدى هشاشة المنظومة الاجتماعية في تعاملها مع المختلف. فالجمع الذي لم يستطع أن يحتويه، وظلّ يسخر من شكله ويُقصيه، ساهم في تشكيل عقدة نفسية حادة لديه، جعلته ينكس على ذاته ويعيش في عزلةٍ تامّة، مكفياً بمرافقة لوحاتٍ نسائيةٍ اتخذها بدائل لعلاقاتٍ بشريةٍ حقيقية لم يسح له تحقيقها.

وهكذا، يتحوّل "الزوير" إلى رمزٍ للمرفوض اجتماعيًا، والمهزوم نفسيًا، يعيش في مجتمع تحكّمه ثقافة الرفض والاستعلاء الشكلي، حيث يُقاس الإنسان بجسده لا بإنسانيته، وبقدرته على الإنجاب لا بعمق مشاعره. إنّها صورة عميقة لحالة اغترابٍ نفسي واجتماعي، حيث يُحتزل الكائن في مظاهره الخارجية، فتقوِّض إمكاناته في بناء علاقاتٍ سليمة: "يعيش في مجتمعه وبين أهله في دائرة الغربة، يعيش في عالمٍ مجرّد من القيم، يسوده جوٌّ كربةٍ لدرجة أنّه لا يرفض الحياة فقط بل يعاديا"¹⁶. فالصفات السلبية التي أحصاها "الزوير" عن نفسه، والصورة التي رسمها في ذهنه، والتي رأى بأنّ

المجتمع من المستحيل أن يتقبلها، إلى جانب سخرية زملائه منه، كلّها أسباب اجتمعت لفرض الانعزال وكره المحيط الذي يحيا فيه، نتيجة للقيم الأخلاقية التي أصبحت لا تتناسب مع نفسية الإنسان.

2. أبعاد الاغتراب في رواية العازب:

تعددت أشكال الاغتراب في الرواية بتعدد المواقف التي جسّدتها، فقد تراوحت بين الاغتراب النفسي والاجتماعي والمكاني، وجميعها جاءت انعكاسًا لاختلاف القضايا المؤثرة في الفرد، إذ ولدت داخله إحساسًا بالغرابة عن محيطه، بل وعن ذاته التي باتت تبدو له غريبة وغير معبرة عن قناعاته: "إنه شعور بالوحدة أو الغربة، وانعدام علاقات المحبة أو الصداقة مع الآخرين من الناس، وهو حالة كون الأشخاص والمواقف المألوفة تبدو غريبة"¹⁷. ومن هنا نطرح التساؤل حول الأبعاد التي حققتها ظاهرة الاغتراب في النص الروائي: هل هي أبعاد جمالية فنية، أم أبعاد موضوعاتية مضمونية؟

أ- البعد النفسي:

إذا كانت الرواية قد اتخذت من ظاهرة الاغتراب وسيلة للكشف عن مختلف الضغوطات التي دفعت الأفراد إلى العيش في دوامة العزلة والوحدة، فإن تعدد أشكال هذه الظاهرة واختلاف مظاهرها كشف عن الرؤية التي أرادت الكتابة التعبير عنها، وذلك من خلال توظيف الشخصيات الروائية كأقنعة عكست تصوراتها وأفكارها. فقد جسّدت شخصية "الزوير" بوصفها بطل الرواية صورة الفرد الذي تجتاحه الوحدة داخل العائلة والمجتمع، حيث اختار العزلة نتيجة ما تعرّض له من أحاديث قاسية وعبارات سخرية. كلّ هذه الأسباب اجتمعت لمنح هذه المعاناة بعدًا نفسيًا عميقًا، حيث نجد الشخصيات المغتربة غارقة في صراعات داخلية وتأمّلات نفسية، وهو ما عبّر عنه المقطع الآتي:

"... في الحقيقة، لم أكن أفصح عن تدمري وغضبي ورفضى للكنية هذه في البداية، لخوفي من فقدان صداقتهم ورفقتهم وأنسهم. إنّه الهلع بعينه أن يتركوني، أو أن يهجروا شقة المرجان..."¹⁸.

يشكل المقطع المذكور تجسيدًا بليغًا للبُعد النفسي للاغتراب الذي يعانيه بطل الرواية "الزوير"، حيث يكشف عن مدى التعقيد النفسي الذي ينطوي عليه هذا النوع من الاغتراب؛ إذ لا يقتصر على الانعزال الاجتماعي الظاهر، بل يتغلغل في أعماق الذات ليخلق صراعات داخلية حادة. فالزوير، رغم شعوره بالألم والرفض الناجم عن الألقاب السّاخرة التي وُحمت إليه، يختار الصّمت والتّنازل عن كرامته الشخصية ليحافظ على ما تبقى من علاقاته الاجتماعية، ممّا يعكس حالة من الهلع والخوف المستمرين من الهجر والوحدة. وهذا الخوف يُعدّ تجسيدًا نفسيًا لردّة الفعل على تجربة الاغتراب، إذ يتحوّل إلى حالة قلق مستمرة، تتاب الشخصية بمجرد التفكير في فقدان الرّوابط الاجتماعية، ممّا يجعل من تجربة الوحدة مروّعة ومعقّدة في ذات الزوير. وتتجسّد أبعاد الاغتراب النفسي للبطل في مواجهة الذات لصراع نفسي بين الرغبة في الالتئام والخوف من فقدانه، وبين الاحتياج إلى التعبير عن الذات وبين الخوف من رفض الآخر. ومن ناحية أخرى، يكشف هذا البُعد عن أثر الاغتراب في تفكيك التوازن النفسي للبطل، حيث يُنتج حالة من الدّل النفسي والاستسلام، ما يضع الشخصية في دائرة مفرغة من القلق والخوف، ويحدّ من قدرتها على مقاومة الإهانة أو التعبير عن الغضب. وبالتالي، يبرز الاغتراب النفسي كظاهرة مركّبة تنطوي على تناقضات داخلية عميقة، تنعكس على سلوكيات الشخصية وردود أفعالها تجاه المحيط.

تواصل الساردة حديثها عن معاناة الزویر والوسائل التي اتخذها كبديل للفراغ الذي يعيشه في حياته، فالغربة ولدت فيه ضرورة البحث عن البديل لتغطية نقصه، ووصل به الأمر إلى استخدام صور النساء المعلقة على جدران بيته كوسيلة لملء أوقات فراغه والتنفيس عن مكبوتاته، وهو ما يئنه بقوله:

"من قال إني عازب؟! الصّالون بحر متلاطم بالنساء الجميلات، أقصده بعد أن أنهى واجباتي، أدخل إليه للمتعة والمغامرة في أقصى مداها... إته ملهاي، يكفي أن أجلس قبالة صورة لحسناء ما، حتى أشعر بحضورها الأنثوي الجبار، وبالأنس الذي تسكنه بين جوانبي"¹⁹.

يعكس المقطع أبعاداً عميقة للاغتراب النفسي الذي يعيشه الزویر، إذ يمثل ذلك تعبيراً عن محاولته تعويض الفراغ العاطفي والنفسي الناجم عن انفصاله عن المجتمع وجسده. فالتشوّ الخلق الذي يعانيه لا يجرمه فقط من الحياة الطبيعية، بل يدفعه إلى حالة من العزلة النفسية والاغتراب عن ذاته، إذ يتحوّل الصالون المملوء بصور النساء المعلقة على الجدران إلى فضاء وهمي تمارس فيه ذاته هروباً من واقعها المير. تلك الصّور ليست مجرد زخرفة، بل بمثابة كائنات حيّة تنبض بالحضور النسائي الذي يفتقده، فتمنحه إحساساً زائفاً بالدفء والأنس، وتغذي رغباته المكبوتة في ظل غياب أي تواصل إنساني حقيقي، ما يعكس بوضوح هروباً نفسياً من الواقع الصارم إلى عالم بديل يحقق فيه بعضاً من ذاته الضائعة، من خلال الانغماس في عالم الخيال كاستجابة نفسية دفاعية على صدمة الإقصاء الاجتماعي والحكم الاجتماعي القاسي الذي تعرّض له الزویر، وهو بذلك يعلن تمزده الصّامت على القيم والمقاييس التي فرضها المجتمع، والتي منعت من تحقيق حياة طبيعية واندماجاً اجتماعياً كاملاً.

هذا الاغتراب لا يعكس فقط انقطاعاً بين الذات والمحيط، بل ينطوي على جرح عميق في العلاقة بين الجسد والهوية، حيث تتحوّل حاجة الزویر للاكتفاء الذاتي إلى آلية للبقاء النفسي، تدفعه بعيداً عن الحياة العامة إلى عزلته الخاصة. وبذلك، تقدّم الرواية قراءة نقدية تتجاوز التجربة الفردية لتفضح المنظومة الاجتماعية التي تولّد هذا النوع من الاغتراب، وتؤكد أهمية فهم معاناة الرجل العازب بوصفها تجربة نفسية واجتماعية معقدة، تعكس حالة شمولية من الإقصاء والحرمان لا تقلّ قسوة عن المعاناة التي تواجهها الفئات المهمّشة الأخرى.

لقد اتخذت الكاتبة في نصّها الروائي موضوع العازب للحديث عن معاناة الرجل النفسية نتيجة للضغط الذي يتعرّض له من طرف أفراد المجتمع، فلطالما كانت المرأة تكتب عن التجربة القاسية للأنثى في المجتمعات المحافظة التي تفرض عليها القيود بشتى أنواعها، إضافة إلى اتهامها بكلّ ما يحدث لها على أنّها السبب في ذلك دون أدنى تفسير، ولا حتى منحها فرصة الدفاع عن نفسها. فكانت ثلام على كلّ ما يصيب جسدها من سوء، ولعنّت بأنّها ناقصة عقل لا تتصرّف إلاّ بعاطفتها، وتنقاد وراء شهواتها. لنجد ربعة جلطي اليوم تتخذ منحنى آخر في كتاباتها، إذ تطرقت لموضوع الرجل العازب الذي لم يتقبّل ما حدث له في وسط المجتمع، ولا حتى الجسم الذي خلق به، والذي يرى أنّه إحدى معيقات ممارسة حياته بكلّ أريحية، ممّا جعله يدخل في دوامة العزلة والوحدة، وإشباع رغباته وشهواته الجنسية باتخاذ طرق مختلفة (ممارسة العادة السرية) جعلته يعيش اللحظة، ويغوص في عالمه الخيالي الذي مكّنه من تحقيق ما لم يتوصّل إليه في عالمه الواقعي. وعليه يمكننا القول إنّ النصّ الروائي جاء ردّاً على الآراء التي كانت تنتقد المرأة وتتهمها.

ب-البعد الاجتماعي:

تعكس ظاهرة الاغتراب في التصوص الروائية تجربة الفرد الذي ينتمي إلى مجتمع يفرض عليه قيوداً وقوانين معينة، وهو ما حاولت "ريبعة جلطى" تجسيده من خلال نصها الروائي "العازب"، الذي تناولت فيه معاناة الزویر من حياة العزوبة، التي فرضتها عليه هيئة جسمه المختلفة عن غيره من الأفراد، وجعلته يعاني ويلات المجتمع، ويغوص في عمق العزلة والوحدة التي أرهقتها. وهذا ما تبين من قوله: "... أشعر بالضيق. كلما تركوا المكان وعمّ الصوت حولي، يرجع صدى ضحكاتهم الساخرة مني، ثملاً لأذني وكياني. تهزني من أعماقي فأشعر بالضياح والغضب والحزن"²⁰.

يوصل الزویر حديثه عن معاناة إحساسه بالغربة عن الآخرين، والوحدة والعزلة كلما غادر زملاؤه شقته وبقي وحيداً فيها. لا أحد يستوعب ألمه أو يدعم آرائه، بل العكس؛ كل ما يدور حوله يسبب له التماسه والقلق، ويجعله يستحضر مواقف السخرية والاستهزاء التي يمارسها أصدقاؤه ضده. وهذا ما ولد فيه الصراع الداخلي، الذي تتضارب فيه الأفكار بين ما تنهوا نفسه وما يفرضه الآخرون. وقد وصف الزویر تأثيره بتصرفات أصدقاؤه ونظرة المجتمع له بقوله: "... ومكان يزداد ضيقاً بالنسبة لي مع أعوام المراهقة ومرحلتها القلقة، إلى حدّ الشعور بالاختناق، وبالإحساس وكأني في قفص ذي جدران حديدية...

منذئذ، لم أعد أبرح شقة سي قادة المجاهد في حي المرجان سوى أثناء حلول الليل أحياناً، والعودة إلى البيت العائلي..."²¹.

عبر البطل في هذه المقطوعة عن الإرهاق النفسي الذي يعاني منه، وجعله أكثر ميلاً للعزلة والانعزال، فبالنسبة إليه بلغ المرحلة التي لم يعد أحد يفهمه، ويدرك حجم الضرر الذي أصابه، ما عدا والدته التي يرى أنّ معاناتها تزداد يوماً بعد يوم بسبب ابنها والتشوّه الذي يعاني منه. وهذا تفسيره بحالة غربة الذات التي يدركها الفرد الذي "أضحي نافرًا أو مغترّباً عن ذاته، وأصبحت الذات أداة مغترّبة لا تعرف ماذا تريد، وهي عدم القدرة على تواصل الفرد مع نفسه وشعوره بالانفصال عما يرغب أن يكون عليه، وبين إحساسه بنفسه في الواقع"²². فغربة النفس التي ولدتها ظروف الحياة خلقت في الإنسان نوعاً من البحث عن البديل، وخلق أسباب إنعاش الذات المتيّنة، ومحاولة تجاوز الإحساس بالعجز وفقدان السيطرة، وذلك بخلق جوّ يُعيد الروح للجسد، والشعور بالفوز وتحقيق الرغبة. وهو ما أشارت إليه الساردة في الرواية؛ ممثلة ذلك بشخص الزویر الذي غاص في عالم بعيد عن واقعه لما وجده فيه من إشباع لرغباته الدفينة، حيث قال: "لم أتعب من هوايتي الجديدة المتعبة الممتعة. بالتلصص على نبيهة وعالمها... تعرفت على عالم النساء وأنا معلق بين الكوة وغطاء المرحاض ما لم تُفدني به مئات الروايات التي قرأتها..."²³.

انتقلت الكاتبة من حديثها عن الغربة الاجتماعية التي طالت حياة الزویر، الذي لم يعد يتحمّل ما يحدث له في مجتمعه، إلى سرد الخطوات الجديدة التي اتبعها للخروج من دائرة الوحدة، والانغماس في جوّ الاستمتاع بحياته ولو بطريقة وهمية. فالغربة التي يعانيها الزویر ليست مجرد عزلة مكانية أو انقطاعاً عن المجتمع، بل هي اغتراب نفسي عميق، تشظى فيه الذات بين الواقع المرير والرغبة في الانعتاق، وهي كلّها أسباب اجتمعت لتضعه في عالم آخر يجيا فيه بعيداً عن الناس والأنظار، وهو عالم لا يُبنى على المعطى الواقعي، بل يتشكل كبديل خيالي يتكئ عليه الفرد المهزوم نفسياً، ليعيد بناء ذاته ولو بصورة هلامية مشروطة بالحرمان والخيبة.

ويُمثل هذا العالم الآخر بالواقع البديل، حيث تُخلق العوالم الذهنية بوصفها آليات دفاعية تلجأ إليها الشخصية المنكفئة على ذاتها، هروبا من واقع يفتك بكيانها الداخلي. عالم يترصد فيه ما يهواه ومنعته الظروف من تحقيقه، عالم وجد فيه إشباعا لغريزته الذكورية التي تعاني النقص؛ إذ ينكشف لنا أن هذا البديل لا يهدف إلى بناء واقع جديد بقدر ما يسعى إلى تسكين الرغبات المكبوتة والتنفيس عن الحرمان الاجتماعي، "لأنّ الواقع الذي يعيش فيه يسحق شخصيته الإنسانية ويشوّهها، فيهرب إلى عالم الخيال، ويقترح للإنسانية أساسا روحيا بدل الأساس الواقعي لها، ويزداد الصراع في هذا البعد كلما ازداد وعي الإنسان بذاته، إذ يبدو له كل ما يحيط به ثقلا عليه، وقيودا يضيق بها ذراعا، ولا يخرج من ذلك تواصله أو علاقاته الاجتماعية، ومن هنا تأتي عزلته، ومن ثم اغترابه عن القيم الواعية التي تحيط به وتحكمه"²⁴. وعليه، فإنّ هذا الصراع بين الذات والواقع، بين الحلم والواقع، وبين الدّاخل والخارج، هو ما يجعل الزوابع شخصيّة تمثل الإنسان المعاصر في بحثه عن هوية ضائعة، ومكان آمن يحتضن هشاشته ويمنحه شعورا - ولو زائفاً - بالاكتمال. فالحيل، إذن، يتحوّل من مجرد وسيلة للهروب إلى أداة لبناء ذات مفقودة، وتكوين عالم يستوعب الإنسان الممكن، لا الإنسان المنشط بفعل القيم السائدة.

مارست الكاتبة شكّا اجتماعيا ضمنيّا للسلوكيات التي تصدر عن بعض الأفراد تجاه غيرهم، حين يلجؤون إلى أسلوب السخرية والتجريح من غير مراعاة لمشاعر المستمع وحالته النفسية، خصوصا أنّ بعض الانتقادات التي يوجهونها تكون مرتبطة بأمر خارجة عن إرادة الضحية. فالتمرد الذي يديه بعض الأشخاص ليس إلا نتيجة لوضع قايين لم يتمكنوا من التكيف معه أو تقتل ما فرض عليهم، إذ يصبح الضغط الاجتماعي عاملا أساسيا في دفع الفرد إلى كسر القيود المفروضة عليه، سعيا إلى راحة باله، وبحثا عن بيئة أكثر انسجاما مع ميوله ورغباته التي جرى قمعها في مجتمع الانتفاء لأسباب لا يد له فيها.

الخاتمة:

تعرّضت دراستنا لظاهرة الاغتراب التي يعيشها الأفراد تحت وطأة الضغوط الاجتماعية والنفسية المختلفة، وهو ما جعلهم يغوصون في حياة بديلة غير تلك التي فرضت عليهم. ومن خلال تحليل النص الروائي توصلنا إلى جملة من النتائج:

- ✓ يحمل النص الروائي هموم الفرد ومعاناته في المجتمع، إذ يترجم ما يواجهه الإنسان في حياته اليومية من معضلات تعيق ممارسته لحياته بشكل طبيعي.
- ✓ لا يقتصر النص الروائي النسوي على رصد معاناة المرأة في ظلّ القيود والقوانين التي تفرضها المجتمعات المحافظة، بل يتعداها إلى التعبير عن هموم الرجل وما يعيشه من ضعف في ظلّ الأزمات اليومية.
- ✓ نظرت الروائية لظاهرة الاغتراب من زوايا متعدّدة، خلقت من خلالها توترا على مستوى الأحداث أسهم في توسيع دائرة السرد وتطورها؛ فهي لم تقتصر على تصوير حياة العازب كشخص منفرد، بل ربطتها بجملة الضغوط والتجاوزات التي يعيشها، مما دفعه إلى خلق عالم افتراضيّ بديل يعوّض به رفضه للواقع.

✓ كشفت الكاتبة عن أبعاد الاعتراب النفسي والاجتماعي الذي غمر شخصية "الزوير"، وهي حالة فرضت عليه بفعل ظروفه الخاصة التي ارتبطت بتشوّهه الجسدي، الأمر الذي ولّد لديه شعورًا بالنقص مقارنةً بغيره من الذكور.

✓ حقّقت ظاهرة الاعتراب في النص الروائي أبعادًا متعدّدة، جمعت بين البعد الفني المتمثّل في تعميق الشخصيات وإضفاء أبعادٍ نفسيةٍ غنيّةٍ عليها، وبين التكثيف الرمزي والدقّة في الوصف النفسي والمونولوج الداخلي، ممّا أضفى على الرواية قيمةً جماليةً وفنيةً بارزة.

✓ رصدت الكاتبة الوظيفة الاجتماعية للاعتراب من خلال فضح القضايا الاجتماعية وتبسيط الضوء على المشكلات المجتمعية، إضافةً إلى النقد الاجتماعي اللاذع للتصرّفات التي يمارسها بعض الأفراد دون مراعاة لمشاعر غيرهم أو أوضاعهم النفسية.

وبذلك يبقى السؤال مطروحًا إزاء ما قدّمته جلطى في نصّها: فبينما اعتدنا أن نقرأ في النصوص النسوية معالجةً لمعاناة المرأة ومكانتها في المجتمعات المحافظة، نجد أنفسنا أمام نصّ يُعنى أيضًا بقضية الرجل، كاشفًا عن زوايا ضعفه ومعاناته.

فهل أرادت الكاتبة من ذلك إعادة تعريف مفهوم الاعتراب في الأدب النسوي وتوسيعه ليشمل الطرفين معًا؟

هوامش:

- ¹ - خليفة عبد الله محمد، 2003م، سيكولوجية الاعتراب، د ط، مصر، دار الغريب للطباعة والنشر، ص 21.
- ² - رجب محمود، 1993م، الاعتراب سيرة ومصطلح، ط 4، القاهرة، دار المعارف، ص 06.
- ³ - أبو بكر مرسى، 2002م، أزمة الهوية في المراهقة والحاجة للإرشاد النفسي، ط 1، مصر، مكتبة النهضة المصرية، ص 58.
- ⁴ - سناء حامد زهران، 2004م، إرشاد الصحة النفسية لتصحيح مشاعر الاعتراب، ط 1، مصر، عالم الكتب للنشر والتوزيع، ص 104.
- ⁵ - عبد اللطيف محمد خليفة، 2003م، دراسات في سيكولوجية الاعتراب، مصر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ص 81.
- ⁶ - ربيعة جلطى، 2018م، العازب، ط 2، برج بوعريّج (الجزائر)، دار خيال للنشر والتوزيع، ص 22-23.
- ⁷ - المصدر نفسه، ص 34-35.
- ⁸ - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
- ⁹ - محمد عباس يوسف، 2005م، الاعتراب والإبداع الفتي، مصر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ص 40.
- ¹⁰ - سناء حامد زهران، إرشاد الصحة النفسية لتصحيح مشاعر الاعتراب، ص 120.
- ¹¹ - المرجع نفسه، ص 110.
- ¹² - ربيعة جلطى، العازب، ص 90-91.
- ¹³ - المصدر نفسه، ص 91.
- ¹⁴ - محمد عباس يوسف، الاعتراب والإبداع الفتي، ص 23.

- 15 - ربيعة جلطى، الغازب، ص 157.
- 16 - مجدي أحمد محمد، 2001م، الاغتراب عن الذات والمجتمع وعلاقته بالسمات الشخصية، د ط، الإسكندرية، ص 01.
- 17 - كمال الدسوقي، 1988م، ذخيرة علوم النفس، ط 1، القاهرة، الدار الدولية للنشر والتوزيع، ص 77.
- 18 - ربيعة جلطى، الغازب، ص 21.
- 19 - المصدر نفسه، ص 141.
- 20 - المصدر نفسه، ص 22.
- 21 - المصدر نفسه، ص 18.
- 22 - سناء حامد زهران، إرشاد الصحة النفسية لتصحيح مشاعر الاغتراب، ص 109.
- 23 - ربيعة جلطى، الغازب، ص 55.
- 24 - إسكندر نبيل رمزي، 1988م، الاغتراب وأزمة الإنسان المعاصر، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ص 78.

قائمة المراجع:

- ✓ أبو بكر مرسي، (2002م)، أزمة الهوية في المراهقة والحاجة للإرشاد النفسي، ط 1، مصر، مكتبة النهضة المصرية.
- ✓ إسكندر نبيل رمزي، (1988م)، الاغتراب وأزمة الإنسان المعاصر، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية.
- ✓ خليفة عبد الله محمد، (2003م)، سيكولوجية الاغتراب، د ط، مصر، دار الغريب للطباعة والنشر.
- ✓ خريستو نجم، (1991م)، في النقد الأدبي والتحليل النفسي، ط 1، بيروت، دار الجبل.
- ✓ ربيعة جلطى، (2004م)، الغازب، ط 2، برج بوعريج (الجزائر)، دار خيال للنشر والتوزيع.
- ✓ رجب محمود، (1993م)، الاغتراب سيرة ومصطلح، ط 4، القاهرة، دار المعارف.
- ✓ سناء حامد زهران، (2004م)، إرشاد الصحة النفسية لتصحيح مشاعر الاغتراب، ط 1، مصر، عالم الكتب للنشر والتوزيع.
- ✓ عبد اللطيف محمد خليفة، (2003م)، دراسات في سيكولوجية الاغتراب، مصر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.
- ✓ كمال الدسوقي، (1988م)، ذخيرة علوم النفس، ط 1، القاهرة، الدار الدولية للنشر والتوزيع.
- ✓ مجدي أحمد محمد، (2001م)، الاغتراب عن الذات والمجتمع وعلاقته بالسمات الشخصية، الإسكندرية.
- ✓ محمد عباس يوسف، (2005م)، الاغتراب والإيداع الفتي، مصر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.